مفهوم الإدراك في فلسفة آلفرد جولز آير
(Sir Alfred Jules Ayer)

د.علي تتيات
جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

Abstract:

Ayer is considered as an advocate of Virtual theory. He gave up it and adopted the new Realistic theory.He argued that the perception of physical things he sees that realizing physical things don't depend on logical transmission but depend on assumption physical things including some sort of imagination based on experimental verification principle. He concluded we can not perceive material things as they are, what we have perceived is indirectly something else which is called " sense data".

Key words: Virtual theory, experimental verification principle ,Sensory experience , Physical objects, Sensory perception, realism.

Résumé:

Ayer est considéré comme un défenseur de la théorie virtuelle. Il l'a abandonné et a adopté la nouvelle théorie réaliste. Il a soutenu que la perception des choses physiques qu'il voit que la réalisation des choses physiques ne dépend pas de la transmission logique, mais dépend de l'hypothèse des choses physiques, y compris une sorte d'imagination basée sur un principe de vérification expérimentale. Il a conclu que nous ne pouvons pas percevoir les choses matérielles telles qu'elles sont, ce que nous avons perçu est indirectement autre chose qui s'appelle "données sensorielles".

Mots clés :La théorie virtuelle, principe de vérification expérimentale,

الملخص:

يعد **آير** من دعاة النظرية الظاهرية ولكن تخلى عنها وتبنى النظرية الواقعية الجديدة المتطورة، و حاول إلقاء نظرة على الصراع بين الفلاسفة حول الإدراك. وكان آير من الفلاسفة الذين بحثوا عن إشكالية الإدراك للعـــالم المحـــيط بنـــا و معالجتـــه بالمؤثرات الخارجية والحسية حيث احتلت نظرية الإدراك عنده مكانا هاما في فلسفته لكونها تلعب دورا رئيسا في فهمنا لنظريتـــه في المعرفة وموقفه من الميتافيزيقا.

وخرج بنتيجة مؤداها؛لا يمكننا إدراك الأشياء المادية على حقيقتها،وما ندركه في حياتنا وخبراتنا الإدراكية بصورة مباشرة هو شئ آخر غيرها، وهذا ما اصطلح عليه **آير** بـــ (المعطى الحسي).

الكلمات المفتاحية : النظرية الإدراكية، مبدأ التحقق التجريبي، التجربة الحسية،الأشياء المادية،الإدراك الحسي،الواقعية.

هدف البحث

محاولة عرض نظرية الإدراك في بدايتها ونهايتها عند **آير** الذي كان من دعاة النظرية الظاهرية ولكن تخلى عنها وتبنى النظرية الواقعية الجديدة المتطورة ،و إلقاء نظرة على الصراع بين الفلاسفة حول الإدراك و محاولة **آير** اتخاذ حل وسط لهذا الإشكال، ومستقبل الفلسفة يكمن في نهاية الأمر في كونها منطق العلم، ويرى مهمة الفلسفة حل المشكلات من خلال التجربة و التوضيح و المشاكل الفلسفية الهامة مستمدة من نظرية المعرفة الإدراكية.

تساؤلات البحث ومنها ما يلي :

- ما الذي يشكل موضوع الإدراك ؟
- هل توجد الأشياء المادية مستقلة عنا أم أن الإدراكات المختلفة لهذه الأشياء في أذهاننا تشكل كل ما هو موجود؟
- هل إدراكنا للأشياء المادية في العالم يتم بصورة مباشرة أم بصورة غير مباشرة ؟
- هل إدراكنا للأشياء يتوقف على التجربة الحسية ؟

تعريف بالفيلسوف آير:

هو **ألفريد جولز آير** (**Ayer** Alfred Jules) فيلسوف بريطاني معاصر،ولد في عام(1910)وتوفى(1989 م)ويعد من فلاسفة التجريبية المنطقية وقد تلقى تعليمه في كلية (Etlon) ثم في أكسفورد حيث اهتم بالدراسات الكلاسيكية ، وبعد تخرجه من جامعة أكسفورد عام (1932م)،سافر إلى النمسا حيث أمضى بعضا من الوقت في جامعة **فيينا** اطلع خلاله على فلسفة الوضعية المنطقية واتصل بأعضاء ما يعرف بـ" **حلقة فيينا** " وقد عاد بعد ذلك إلى بريطانيا لكي يشغل وظيفة محاضر في الفلسفة بإحدى كليات جامعة أكسفورد (1933م) وقد حصل على منحة دراسية عام (1935 م) فاستطاع أن يتفرغ لدراسته الخاصة ، وكانت ثمرة هذه الدراسات كتابه (Language Truth and Logic) الذي فرغ من تأليفه عام (1936 م)([1])، وتناول في هذا الكتاب أهم آراء **حلقة فيينا**، وقد كانت مجموعة من الفلاسفة الذين تجمعوا حول **موريتس شليك** (Moritz Schlick) عندما استدعي إلى جامعة **فيينا** عام (1922م)،وتشكلت في ارتباط فلسفي،ترأسه **شليك**، وأسموه جمعية **إرنست ماخ** (Ernst Mach Verein) تكريماً للعالم **إرنست ماخ** ، فأعضاء حلقة **فيينا** كان لديهم موقف مشترك تجاه الفلسفة تمثل باعتقادين رئيسين :

الأول : الخبرة هي المصدر الوحيد للمعرفة.

الثاني : التحليل المنطقي بمساعدة المنطق الرمزي هو الطريقة المفضلة لحل المشاكل الفلسفية.

وكانت حلقة فينا تمثل رابطة فكرية تربط أعضاءها أهداف فلسفية، واتضحت مبادئها تدريجيا بعد مناقشات طويلة تناولت المنطق ونظرية المعرفة ، وقد أسهم اتصال **فتغنشتاين (**Ludwig Wittgenstein**)** بأعضاء الحلقة في توضيح مجموعة من النقاط التي تبنتها الوضعية المنطقية([2])،حيث دارت المناقشات حول بعض النقاط الغامضة في كتاب **فتغنشتاين** (رسالة منطقية فلسفية) بغية معرفة وجهة نظر **فتغنشتاين** " في القضايا الفلسفية والمنطقية ونظرية المعرفة بصورة عامة([3]).

قد يتبنى الفيلسوف فكرة أو نظرية في بداية مرحلة علمه ومع التطورات العلمية والتجارب العملية والعلمية يتخلى الفيلسوف عن نظرية معينة أو الفكرة أو ما كان يدعو إليه من قبل ، وكان الفيلسوف **آير** من دعاة النظرية الظاهرية التي تعتبر الأشياء المادية مركبات منطقية من المعطيات الحسية و هذه تفسر الإدراك انطلاقا من العوامل النفسية كالشعور و العاطفة و الإرادة يسميها **ادموند هوسرل** (E.Husserl) بفعل الإدراك.و ما يؤكد ذلك أن إدراكنا للعالم الخارجي لا يكون ثابتا،بل متغيرا حسب حالتنا النفسية ، ففي الحزن نرى العالم كئيبا اسودا،و في الفرح نراه جميلا ملونا،و في الخوف نراه مرعبا وهكذا ... وقد تخلى **آير** عن هذه النظرية لأنها لم تقدم تصور كاف للعالم إزاء

الأشياء المادية فواجهت النظرية الكثير من الصعوبات ، ولذلك تبنى **آير** في إطار نظرية الإدراك بعد ذلك نظرية الواقعية المتطورة([4]) .

يؤكد **آير** في مقدمة كتابه(لغة الصدق والمنطق) بأن وجهات النظر التي تبناها وارتآها مستوحاة من الفيلسوف **هيوم**(David Hume) (من بين الفلاسفة التجريبين الكلاسيكين)و **راسل**(Bertrand Russell) و **فتغنشتاين**(من بين الفلاسفة المعاصرين)وأنه يشاطر ويحاكي الكثير من المناطقة الوضعيين في الكثير من آرائهم وقد تعنى هذه الحركة الفلسفية بالتحليل المنطقي للمعرفة العلمية، حيث تؤكد أن المقولات الميتافيزيقية،أو الدينية،أو القيمية،فارغة من أي معنى إدراكي،و **آير** يتبنى تقسيم الفيلسوف **هيوم** إلى نوعين: قضايا منطقية وقضايا تجريبية.حيث يتبنّى **هيوم** سيادة النظام والقانون على الطبيعة والإنسان، ليتجّه صوب تعيين قدرات الإنسان المعرفية لمعرفة هذه القوانين، والتمييز بين العلم الحقيقي الأصيل وشبه العلم. العلم الأصيل علم يتحصل بالاعتماد على القدرات الحقيقية لجهاز المعرفة عند الإنسان، ولا يقفز إلى خارج نطاق المعرفة الممكنة لتعيين حدود المعرفة البشرية ومداها[5].

و يقسّم **هيوم** القضايا (أو متعلقات المعرفة التصديقية للإنسان) إلى فئتين: الأولى فئة القضايا المتعلقة بالتعبير عن العلاقات بين التصورات، والفئة الثانية هي القضايا المعبّرة عن الأمور الواقعية ، وهو يعتبر البحث والتحقيق حول الفئة الأولى في غنى عن مراجعة العالم الخارجي، فتصديقها وتكذيبها لا يتوقّف إلاّ على معرفة معنى الموضوعات والمحمولات ومقدماتها وتواليها، معرفتنا بهذا النوع من القضايا معرفة يقينية، ونعتمد في التوصّل إلى هذه المعرفة اليقينية على مبدأ امتناع اجتماع النقيضين وارتفاعهما بيد أن هذه القضايا لا تضيف شيئاً إلى معرفتنا بالعالم الخارجي.

أمّا الحكم حول القضايا الخاصة بالواقع فهو غير ميسور من دون مراجعة العالم الخارجي ومشاهدة الظواهر الواقعية والعلاقات فيما بينها. والنتيجة هي أن أيّاً من القضايا المختصّة بالواقع لا يمكن تصديقها أو تكذيبها بواسطة استدلالات قبْلية. واستدلالاتنا وبراهيننا تبعاً لنوع القضايا، على شكلين: نسمّي قسماً من الاستدلالات استدلالات برهانية، وهي المختصة بالعلاقات فيما بين التصورات، وهي استدلالات تحصل بصورة قبلية ودون حاجة إلى التجربة، وتفيد معرفة يقينية. والقسم الثاني من الاستدلالات هو الاستدلالات التجربة البعدية، أي تلك المرتبطة بالأمور الواقعية والتي تحصل بمراجعة العالم الخارجي. الاستدلالات التجريبية محاولة لمعرفة واقع العالم، العالم المقنن الذي تحكمه قوانين دقيقة. القوانين التي تسود العالم قوانين عِلّية، أي قوانين تفصح عن العلاقات العليّة بين الظواهر. وعليه فالاستدلال التجريبي يروم معرفة العالم الخارجي عن طريق معرفة القوانين العلية التي تسوده. وهكذا فإن مفاهيم مثل العلة والمعلول، والضرورة العلية، وما إلى ذلك، تتمتع بأهمية خاصة في الاستدلالات البعدية. الاستدلالات البعدية أو التجربية تتوكّأ أحياناً على قوانين لا نشكّ فيها أبداً، لذلك تفضي إلى نتائج قطعية حاسمة، وتعتمد أحياناً على قوانين ظنية.([6])

و الاستدلالات التجربية وبحكم ماهيتها لا تنطوي أبداً على نتائج ضرورية حاسمة، وهي بذلك بخلاف الاستدلالات البرهانية. في الاستدلالات البرهانية يحصل اليقين المنطقي والحسم السيكولوجي كلاهما، بينما في نتائج الاستدلالات التجربية قد يحصل الحسم السيكولوجي، لكن اليقين المنطقي لا يحصل على الإطلاق. منشأ هذا الفرق هو إمكانية تصوّر نقيض أي واحدة من القضايا المختصة بالواقع، من دون أن يستلزم ذلك تناقضاً. بينما لا يمكن تصور نقيض أية قضية صادقة تتحدث عن العلاقة بين التصورات، لأن نقيضها سيكون إما قضية متناقضة أو يستلزم قضية متناقضة. غاية البحث في العلوم التجربية هي معرفة العلاقات العلية بين الظواهر وتطوير وزيادة العلم البشري بالعالم الواقعي عن طريق الاستدلالات التجربية. وعليه، ينبغي على **هيوم** أن يحافظ على التزاماته التجربية ويجد إلى جانب ذلك طريقاً يكشف عن العلاقات العلية بين الظواهر بواسطة القوى الحسية والتجربية. ولأجل رسم هذا الطريق ينبغي

أولاً عرض صورة تجريبية للعلاقة بين العلة والمعلول. لذلك نراه في مقام تعريف العلة وتصوير العلية لا يستفيد إلاّ من الأمور القابلة للمشاهدة والفحص والاختبار. من وجهة نظره، لأجل اكتشاف العلاقات العلية، ومعرفة علل الظواهر، وبيان القوانين العليّة، ينبغي الاكتفاء بمجرد مشاهدة التلازم والاقتران والتوالي بين الظواهر. يمكن عن طريق معرفة الاقترانات تشخيص العلل والمعلولات. وبدون المشاهدة لا يمكن التوصل إلى أية معرفة للعلاقات العلية، لأن الاستدلال البرهاني لا يفضي إلى معرفة أية علاقة علية معينة. يمكن تصور أية علة من دون معلولها من دون أن يستدعي ذلك تناقضاً. هذا طبعاً إذا استطعنا معرفة العلة الحقيقية الواقعية للشيء، إذن، لو لم نعرف العلة الواقعية للظاهرة، وكنا بصدد اكتشافها، فلن نستطيع من باب أولى التوصّل لها عن طريق الاستدلال القبلي. لأن تصور العلة ــ حسب تعبير **كانط** ــ غير كامن في تصور المعلول، أو إن تصور المعلول لا يستبطن تصور علته الخاصة، حتى يمكن عن طريق تحليل تصوّر ذلك المعلول التوصل إلى علته. أو على العكس، تصوّر أي شيء لا يكمن فيه تصور معلوله حتى يمكن عن طريق تحليل تصور ذلك الشيء الوصول إلى معلوله،وبهذا عندما نجد أي شيئين متقارنين دائماً فإن هذا الاقتران يرشدنا إلى اعتبارهما علة ومعلولاً،بيد أن هذا الاقتران أو التوالي لا يشي بحد ذاته بعلاقة ضرورية بين هاتين الظاهرتين،فما الذي يجعلنا ندّعي العلاقة الضرورية بينهما؟ إذا كان تصور أحدهما من دون تصور الآخر يؤدي إلى التناقض كانت العلاقة بينهما ضرورية، لكن الحال ليس كذلك الآن، فمن أين نأتي بالقول إن هذه الآصرة آصرة ضرورية أو علاقة علية ؟ ([7]).

ومن أهم السمات الفكرية للوضعية المنطقية التأكيد على الاتجاه العلمي مع التحليل المنطقي للغة ، والاهتمام بفكرة وحدة العلم ، وفي سبيل ذلك طالب أعضاء **فيينا** وجود لغة موحدة يمكن التعبير بواسطتها عن كل قضية علمية كما وضعوا مبدأ التحقق التجريبي الذي أقاموا بناء عليه نظرية خاصة في المعنى تقوم أساسا على رفض الميتافيزيقا بسبب خلو عباراتها من المعنى لكونها غير قابلة للتحقق التجريبي.وحسب **كلود برنار**(Claude Bernard)، يجمع العالم التجريبي بين شروط الملاحظة العلمية ومبادئ التجربة عندما يخضع الفروض لمبدأ التحقق، فالعلم التجريبي بيني قوانينه تبعا لخطوات وشروط منهجية ونظرية ضرورية([8]).

و تمثل الوضعية المنطقية في الواقع المدرسة المعاصرة الوحيدة التي يمكن اعتبارها استمراراً فعلياً للحركة التجريبية، إذ إنها تعد من ناحية امتداداً للوضعية الكلاسيكية التي نشأة على يد **أوغست كونت** و **جون ستيوارت مل** وبالتالي فهي امتداداً للتجريبية الإنكليزية التي عرفها تاريخ الفكر أبان القرن الثامن عشر ، و كانت البدايات الفلسفية الأولى في حقل التحليل المنطقي أكبر الأثر في تحديد الأبعاد الجديدة لفلسفة القرن العشرين، وبصورة خاصة تلك الفلسفة التي اهتمت بتحليل العبارات الفلسفية والعلمية، فارتبطت بالعلوم ومناهجها، محاولة تطوير منهج علمي جديد يأخذ بالفلسفة نحو الاتجاه السليم، وفي الوقت الذي نجد فلاسفة الميتافيزيقا يناقشون مسائل ومفاهيم بوسائل فلسفية وتأملية بحتة، نرى فلاسفة التحليل يبرهنون بوسائل منطقية ومبادئ تجريبية إن معظم قضايا الفلسفة وجميع القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها، وذلك على أساس إنها لا تستطيع تزويدنا بخبرات تجريبية يمكن التثبت منها، كما إنها ليست منطقية أو رياضية.([9])

والقضايا ذات المعنى يمكن تقسيمها إلى فئتين :

- الفئة الأولى، تتألف من القضايا الواقعية التي سماها **هيوم** بـ (Matters of fact) وهذه القضايا في وجهة نظر **آير** قابلة للاختبار من خلال الملاحظة و كلّ من يريد التمرّد على حكم الطبيعة يكون قد بادر إلى عملية عبثية، لأنه حتى لو فعل ذلك على المستوى النظري سيبقى على المستوى العملي مطيعاً للطبيعة. والمثال على ذلك هو المشككون الذين يعتبرون العالم كله على المستوى النظري عبثاً في عبث، وعدماً في عدم، لكنهم على الصعيد

العملي يعتمدون ويثقون بحسّهم وعقلهم ، فالعالم يُدار بقوانين عليّة واقعية، قوانين تفصح عن علاقة علية واقعية ضرورية لا تتخلف بين الظواهر.

- الفئة الثانية، فتتألف من القضايا يطلق عليها القضايا الصورية أو المنطقية وهي خالية من المضمون الواقعي، وقد رأى **آير** أنها بلا جدوى وتحصيل حاصل، وما هي إلا إعادة ترتيب للرموز التي لا تقول شيئا عن العالم ، وقدم مبدءا مهما ألا وهو(مبدأ التحقق التجريبي) يضع أي جملة ذات معنى خاضعة للملاحظة بصدقها أو كذبها، وأما بالنسبة للعبارات التي لا تقع ضمن أي من هاتين الفئتين ، كالعبارات الميتافيزيقية وجمل القيمة في الأخلاق ، فقد اعتبرها خالية من المعنى ، وبناء على ذلك أصبحت العبارات الميتافيزيقية وجمل القيمة في الأخلاق تبعا لهذا المبدأ،غير ذات معنى ولا تعبر إلا عن انفعالات ولا تقول شيئا عن الواقع و العبارات الميتافيزيقية التي تخضع للنقد التجريبي تبعاً للفلسفة التجريبية المنطقية هي تلك العبارات الناتجة عن أخطاء في الخيال من تحديد المعنى أو الخالية من المعنى إطلاقاً([10]).

إن **آير** يبحث عن حل وسطا للصراع بين النظرة العلمية ونظرة الحس المشترك إزاء طبيعة الأشياء المادية ، حيث يرى **آير** أن إدراك الأشياء المادية لا يتم اعتمادا على الانتقال المنطقي ، وإنما يستند إلى افتراض الأشياء المادية مع تضمينها نوعا من التخيل ، و الحقائق الواقعية(المادية) لا يمكن التحقق من صحتها باعتماد البرهنة العقلية لأنها تستند على التجربة، كما يجب استبعاد الخطابة التي تعتمد الأساليب البلاغية و تنطلق من الحس العام (المشهور لدى الجمهور) باعتماد الحجج ، فالحقائق العقلية وحدها قابلة للبرهنة، والفلسفة المادية، أننا - كما أثبت **باركلي(** George Berkeley**)**- لا ندرك "المادة" أبداً، ولا نعرف غير عالمنا العقلي عالم الأفكار والمشاعر؛ والفلسفة الروحانية، لأننا لا ندرك أبداً "روحاً" ملحقة بمشاعرنا وأفكارنا الخاصة؛ وفلسفة الخلود،لأنه ليس هناك "ذهن" يبقى حياً بعد الحالات الذهنية العابرة.وكان **باركلي** قد هدم المادية برده المادة ذهناً، فضاعف **هيوم** التدمير برده الذهن أفكارا فلا "المادة" ولا "الذهن" موجودان([11]).

وقد اعتمد **آير** على مبدأ التحقق التجريبي و قد بدأ المذهب التجريبي يتخذ شكل نظرية فلسفية إيجابية قائمة على أسس متينة يمكن أن تدخل في منافسة ناجحة مع المذهب العقلي. كما في مذاهب **فرانسيس بيكون**(Francis Bacon) (1561 - 1626 م) وهو فيلسوف إنجليزي أول من حاول إقامة منهج علمي جديد يرتكز إلى الفهم المادي للطبيعة وظواهرها, وهو مؤسس المادية الجديدة والعلم التجريبي وواضع أسس الاستقراء العلمي، فالغرض من التعلم عنده هو زيادة سيطرة الإنسان على الطبيعة وهذا لا يمكن تحقيقه إلاَ عن طريق التعليم الذي يكشف العلل الخفية للأشياء، دعا أيضا إلى النزعة الشكية فيما يتعلق بكل علم سابق بحيث يجب أن تكون هذه النزعة الخطوة والأولى نحو الإصلاح وتطهير العقل من المفاهيم المسبقة والأوهام التي تهدد العقل بشكل مستمر جون ومثله الشهير **جون لوك**(John Locke) – ممن تأثر بهم **آير** - من الذين أسهموا في بناء المنهج التجريبي الحديث ويعتبر المنهج التجريبي بصفة عامة هو أكثر البحوث صلابة([12]).

الإدراك ⟵ المعرفة

البصر ، السمع ، الشم واللمس وغيرهم

إن الإدراك إشكالية اختلفت حولها آراء الفلاسفة، وقد وقف عدد من العلماء والفلاسفة على ملكتي الإدراك والإحساس بصفتهما منبعا أساسيا لمعرفة الإنسان،وقد تعالج نظرية الإدراك ضمن إطار نظرية المعرفة، فهي الباب الذي من خلاله نصل إلى معرفة الشئ وإدراكه،ومن ذلك على سبيل المثال:اللوحة الفنية التي على الحائط، لكي ندرك القيمة الفنية لهذه اللوحة نحتاج إلى وسيلة أو عدة وسائل نصل بها إلى الإدراك ألا وهي حاسة البصر فمن خلال حاسة

البصر ندرك إدراكا تاما الأشكال والألوان التي في اللوحة ونتذوق من خلال ذلك جمال اللوحة ، تعتمد هذه النظرية على الذاكرة والخبرات السابقة لدى الفرد عن الشكل والسياق والاستراتيجيات التنظيمية العامة، والتوقعات المبنية على المعرفة بمكونات السياق. ولذلك فإن عملية التعرف على الأشكال من وجهة نظر أنصار هذه النظرية تتم بناء على النموذج الذهني للشكل، وهذا يعني أن الجهاز البصري يقوم بمقارنة الشكل الذي يراه بالنموذج المخزن عن هذا الشكل في ذاكرة الفرد البصرية مع وجود عدة اقتراحات مسبقة لدى الفرد عن توقعاته نحو هذا الشكل، ولذلك فإن الأشكال التي يدركها الفرد لا بد أن يكون لها نموذج مخزن عنها في ذاكرته البصرية ([13]).

كان **آير** من الفلاسفة الذين بحثوا عن إشكالية الإدراك للعالم المحيط بنا و معالجته بالمؤثرات الخارجية والحسية حيث احتلت نظرية الإدراك عنده مكانا هاما في فلسفته لكونها تلعب دورا رئيسا في فهمنا لنظريته في المعرفة وموقفه من الميتافيزيقا،وقد أعطى **آير** لمكونات الخبرة الحسية دورا محوريا في نظريته الإدراكية وحاول بناء على ذلك كيف يمكن أن نؤسس معرفتنا بالعالم المحيط بنا بأشيائه المادية وفهمه على ما هو معطي بصورة مباشرة من خلال الخبرة الحسية،فمعطيات الخبرة الحسية لها دور مماثل في إطار النظرية العلمية للعالم، ولا بد لأي نظرة علمية في العالم أن تبدأ من الخبرة الحسية ومن ثم يتم افتراض الحدود النظرية الخاصة بها.

وتفترض هذه النظرية أن إدراك الشكل يتم من خلال مرحلتين رئيستين وفقاً لدور الانتباه في معالجة معلومات الشكل:

المرحلة الأولى، مرحلة المعالجة قبل الانتباهية، وهي تعني أن عملية معالجة معلومات الشكل في هذه المرحلة تتم دون أن يكون للانتباه دور مؤ ثر فيها حيث تقوم العينان بتجميع المعلومات المختلفة مرة واحدة من المشهد البصري من خلال حركات العين مثل: معلومات اللون، والاتجاه، والحركة، والحواف....الخ، ثم يقوم الجهاز البصري بعد ذلك بتكوين صورة كلية للمشهد البصري.

أما المرحلة الثانية، فإنها تركز على دور الانتباه الانتقائي في معالجة معلومات الأشكال المختلفة التي يحتويها المشهد البصري حيث تتم بطريقة متتالية لأشكال المشهد البصري كل شكل على حدة، ودور الانتباه في هذه المرحلة هو أنه ينتقي شكلاً ذا ملامح خاصة في موقع معين ويركز عليه ثم يحول ملامحه إلى خصائص إدراكية ويقوم بتسجيلها في ملف خاص عن هذا الشكل، وبعد ذلك يقوم الجهاز البصري بمقارنة المعلومات التي تم جمعها في هذا الملف الخاص عن هذا الشكل بالمعلومات المخزنة عنه في الذاكرة البصرية.

وعندما يتحول الانتباه البصري لشكل آخر فإن الشكل السابق يختفي من الرؤية لأن الجهاز البصري في هذه الحالة يقوم بعملية حذف بصري لملف الشكل السابق لذلك يحجب عن الرؤية ويحل محله ملف الشكل الجديد الذي يتركز انتباه الفرد عليه، ويرى بعض العلماء أن دور الانتباه الانتقائي في هذه المرحلة يكون بمثابة الفتيل الذي يربط بين الملامح المنفصلة للشكل، ويجمعها معاً في مكون واحد لشكل يمكن إدراكه.

ومن هنا فالإدراك هو الوسيلة التي نحصل من خلالها معرفة العالم وموضوعاته ، وهناك عدة تساؤلات تشغل بال الفيلسوف ولا تشغل الإنسان العادي منها :

- ما الذي يشكل موضوع الإدراك ؟
- هل توجد الأشياء المادية مستقلة عنا أم أن الإدراكات المختلفة لهذه الأشياء في أذهاننا تشكل كل ما هو موجود؟
- هل إدراكنا للأشياء المادية في العالم يتم بصورة مباشرة أم بصورة غير مباشرة ؟
- هل إدراكنا للأشياء يتوقف على التجربة الحسية ؟
- وإن كان لا يتم بصورة مباشرة ، فهل يمكن أن نستدل على الأشياء المادية من موضوعات الإدراك المباشر ؟
- هل الإدراك من طبيعة عقلية خالصة ؟

يحاول كل فيلسوف إدراك العالم الذي حوله ويضع تصورا وفق نظرياته ومعرفته بالوجود،وقد تم وضع عدد من النظريات الإدراكية من قبل الفلاسفة الذين تناولوا مشكلة الإدراك بالبحث ومن هؤلاء:**باركلي** و **لوك** و **آير** وغيرهم.فقد يتعامل الإنسان مع عالمه الخارجي بما فيه من أشياء مادية وأفراد بشرية يحيطون به ، ويحاول الشخص فهم وتفسير ما يحيط به وهذا هو محاولة إدراك المحيط بالكائن سواء أشياء مادية أم أشخاص في الحياة العملية ، فإذا كنا أمام موقفين متعارضين أحدهما يربط الإدراك بالشعور (الظاهراتية) والأخر بنظام الأشياء الغشتالت (Gestalt) والمشكلة هنا : هل الإدراك مصدره الشعور أم نظام الأشياء ؟

نجد أن دعاة الظاهراتية **هوسرل** و **آير**- أيضا في بداية أمره - يرون أن الإدراك يتوقف على تفاعل وانسجام عاملين هما الشعور والشيء المدرك،وحجتهم في ذلك أنه إذا تغير الشعور يتغير بالضرورة الإدراك،إن الظاهراتية لا تحل لنا المشكلة لأنها تركز على الشعور وهو تركيز على جانب واحد من الشخصية والحديث على بنية الأشياء يجعلنا نهمل دور العوامل الذاتية وخاصة الحدس، وقد تم وضع عدة نظريات من قبل الفلاسفة للبحث عن التساؤلات المطروحة ويمكن تصنيفها كما يلي([14]) :

نظرية الواقعية الساذجة(Naïve Realism) التي تذهب إلى القول بأن الأشياء المادية هي الموضوعات المباشرة للإدراك وأن العالم المادي هو في حقيقته تماما مثلما يبدو لنا ، والواقعية الساذجة سُميّت بالساذجة لفرط الثقة بالحس و لأنها كانت تعكس موقف الإنسان الاعتيادي ، و هي مدرسة فلسفية في فلسفة العقل تنص بالاعتقاد بأن ما تظنّه واقعاً وحقيقة هو ما عليه الواقع بالفعل، وأنك تنظر إلى الواقع بموضوعية ودون تحيّز، وأن الأمور واضحة وضوح الشمس في صفحة السماء، وكلّ شخص عاقلٍ لا بدّ يرى ما ترى. أما من ينظر للواقع نظرة مغايرة فهم بنظرك إما جاهلون أو متقاعسون أو غير عقلانيين أو منحازون إلى غير ذلك من المسميّات، بتعريفٍ آخر هذه الحقيقة يتم تمثيلها بأن البشر غالبا ما يميلون إلى إدراك وقائع وأحداث بعينها من أجل البرهنة على صحة قناعات أو منظومات معرفية بعينها، في مقابل إسقاط الوقائع الأخرى التي تتصادم مع هذه المنظومة على الرغم من أنها يمكن أن تكون أكثر وفرة ، وتعرف أحيانا باسم الواقعية الإنسانية، وهي واقعية أرسطو (322-384ق.م.) مؤسس هذه الفلسفة وكان أرسطو واقعي النظرة، تجريبي النزعة، وكان فيلسوفا ومربيا لـ "الإسكندر المقدوني" لمدة ثلاث سنوات، ويعتقد الواقعي الكلاسيكي أن العالم الخارجي موجود بالفعل حتى وإن كان بعيدا عن تناول إدراكنا، كما تؤمن الواقعية الكلاسيكية بمدركات الحس وتثق بها ثقة لا حدود لها. ويطلق البعض على هذه الحقبة اسم الواقعية الساذجة لأنها كانت تعكس موقف الإنسان الاعتيادي .([15])

نظرية الواقعية التمثيلية وهي النظرية التي لا تعتبر الأشياء المادية قابلة لأن تدرك بصورة مباشرة ، وبالتالي تحاول هذه النظرية الربط بين الشئ المادي وما هو معطي بصورة مباشرة عن طريق ادعائها وجود علاقة سببية بمعنى أن الشئ المادي يسبب إحساسات معينة فينا ، يعود الفضل في ظهور الحركة الواقعية الجديدة إلى **جوج مور (**George Edward Moore**)** وهو الذي مهد الطريق لهذه الحركة الفلسفية منذ سنة (1903م)، وذلك بنشرة لمقالة شهيرة أسماها "دحض المثالية" وقد حاول فيها أن يبرهن على مدى بطلان المذهب المثالي، وقد أحدث **مور** أثرا كبيرا في الفلسفة الانجليزية المعاصرة.

وقد اهتمت الواقعية الجديدة بتحليل العلاقة التي تربط بين الذات العارفة وموضوعها ورفضت التسليم بما رأته الواقعية التقليدية من وجود وسيط بين الشيء المدرك والذات العارفة.

وقد تلتقي جزئية أو عدة جزئيات من علم مع علم آخر كما هو الحال هنا،فقد يوجد لهذا الانتقال مماثلة جزئية في تطور العلم، وبصورة خاصة في علم الفيزياء وذلك عن نظرة الحس المشترك للعالم الحس المشترك هو القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، حيث يبدأ بعض العلماء و الفلاسفة من الأشياء بمفهومها العادي لها ، ومن ثم

يصلون إلى افتراض الجسيمات التي تمتلك أشياء غير قابلة للملاحظة و قد تغير اعتقاد الإنسان كثيرا عبر العصور حول هذا التركيب للمادة حيث ساد لدى فلاسفة الإغريق الاعتقاد بأن جميع العناصر الطبيعية تتكون من أربعة عناصر أساسية هي "التراب" و"الماء" و"الهواء" و"النار"([16]).

وقد نتسائل هنا : ما علاقة الإدراكات بالفيزياء ؟

يتشكل بناء الفيزياء من نماذج مختلفة، مهمتها التعبير بصيغة موجزة عن النظرة التي تتشكل لدينا عن الظواهر الفيزيائية، هذه النماذج التي هي في الحقيقة ثمرة القوى المدركة على اختلافها ومراتبها في التجريد بعيدا عن الاكتفاء بالقول أن الفيزياء علم تجريبي، يجب التدقيق في أمر هذا العلم من حيث أسسه المنطقية، فالنماذج التي نكونها عن الظواهر الفيزيائية هي نتاج للقوى المدركة، فأي هذه القوى المدركة المرجوة والمقصودة،هل هي المدركات الحسية أو العقلية، وأيهما الأسبق؟

إن الطبيعة التجريبية لعلم الفيزياء تجعل من أحكامه أحكام تجريبية أو بالأحرى:"عادية" تنطلق من معطيات حسية، أي ما يصطلح عليه بالقانون التجريبي.أمثلة على وجود الحس المشترك:

- رؤية النقطة الدائرة بسرعة على شكل دائرة.
- رؤية قطرات المطر النازلة بسرعة من السماء خطا مستقيما.

مبادئ الواقعية الجديدة:

- إن معرفة الإنسان للواقع لا تقتصر على مجرد تمثله للجوانب النفسية المحسوسة وحدها، بل تتعدى ذلك إلى إمكانية إدراكه للواقع الذاتي المتحول إدراكا فوريا مباشرا.
- إن المعرفة الإنسانية كلها تعتبر وليدة التجربة وأن التجربة لا يكمن أن تخرج عن قالبها الحسي.
- اهتمامهم بالمسائل النظرية الخالصة فمعظم دراساتهم حول مسائل المنطق ونظرية المعرفة والفيزيقا.
- اكتفاؤهم بمعالجة مجردة للمشاكل الفلسفية الخاصة وعداؤهم للنزعات المذهبية والشاملة([17]).

والتساؤل المطروح هل الإدراك من طبيعة عقلية خالصة ؟

إننا دوما في اتصال مع محيطنا الخارجي، وهذا الاتصال في أبسط صوره يتم بواسطة الأعضاء الحسية، فترانا نسمع ونبصر ونلمس , ولكننا لا نتوقف عند حدود هذه المعطيات الحسية إن علاقة الإحساس بالإدراك كانت محل تساؤل من طرف الفلاسفة وعلى وجه الخصوص الفلاسفة العقليين والماديين الذين نادوا بأن الإدراك من طبيعة مادية :

انطلق أنصار النظرية الحسية من أن كل ما هو موجود مصدره الحس حتى الأفكار الأكثر تجريدا وان المعرفة الصحيحة تتم الإدراك العقلي المطابق للأشياء كما في وجودها العيني .و قد عبر الفيلسوف الانجليزي **لوك** عن هذه النظرة وبيّن أن أعضاء الحس التي تقابل المحسوسات هي التي تنقل إلى الذهن المدركات الحسية المستمدة من الأشياء, وذلك تبعا لاختلاف المسالك التي أثرت بها هذه الأشياء على الأعضاء الحسية .

وقد ميّز **لوك** بين الصفات الأولية و الصفات الثانوية في الشيء مثل الامتداد والشكل والصلابة . أما الصفات الثانوية فهي ليست ثابتة لأنها مجرد قوى تثير فينا إحساسات مختلفة مثل الألوان والطعم والروائح فالكرة مثلا يمكن أن تكون بيضاء أو خضراء أو حمراء . ولكن وجودها لا يتوقف على هذا اللون أو ذاك بل يتوقف على صفاتها الجوهرية مثل الشكل والامتداد والصلابة فهي من حيث الشكل مستديرة ولا يمكن أن تكون غير ذلك. ويعنى أن إدراكنا للأشياء الخارجية متوقف على صفاتها الأولية لا على صفاتها الثانوية .

و إذا كانت هذه الصفات أو الكيفيات الحسية مترابطة في الشيء فأن الصور التي تحدثها في عقولنا تصل إلينا وهي منفصلة، فكل إحساس يصل مستقلا ويكون انطباعا حسيا مستقلا عن غيره .ولكن العقل يربط هذه الانطباعات بعضها ببعض ويكوّن منها إدراكا متميزا مثل إدراك البرتقالة الذي يتألف من شكلها وامتدادها وصلابتها ثم لونها وطعمها.

ويتفق **هيوم** مع **لوك** في رد الإدراك إلى الإحساس إذ حصر مفهومه في نطاق الانطباعات الحسية الناتجة عن تأثير الأعضاء الحسية بخصائص الأشياء ولكنه رفض فكرة التمييز بين الصفات الأولية الصفات الثانوية لأن هذه الأخيرة في نظره صفات جوهرية مقوّمة لوجود الأشياء حيث يقول:" فان الألوان والأصوات والحرارة والبرودة كما تبدو لحواسنا لا تختلف في طبيعة وجودها كما تكون عليه حركة الأجسام وصلابتها "([18]).

إن النظرية الحسية قد تجاوزت بالفعل ثنائية الإحساس والإدراك واستطاعت أن تجمع بينهما في عملية ذهنية واحدة فان طبيعة هذه العملية كانت محل نقد من طرف الفلاسفة وبعض علماء النفس الذين يرفضون تجزئة الظواهر النفسية إلى عناصرها الأولية،**والتساؤل المطروح هل إدراكنا للأشياء يتوقف على التجربة الحسية ؟**

مما لا شك فيه أن الإحساس هو عملية نفسية فيزيولوجية، ترتبط في أساسها على جملة من الحواس، وهذه الحواس تنقل إلينا صور مجردة من أي معنى، ولكن بعد وصولها إلى الدماغ عن طريق الأعصاب، تتم عملية تأويل جميع تلك الصور، وذلك بتحليلها وفهمها عن طريق العقل، وبالتالي فهناك مرحلتين، مرحلة أولى: والتي نعتمد فيها على الحواس للاتصال بالعالم الخارجي ونطلق عليها بالإحساس، ومرحلة ثانية: والتي يتم فيها الحكم على الأشياء وبناء رد الفعل، ونطلق عليها بالإدراك، لكن طبيعة الإدراك قد أثيرت حولها تساؤلات : **فهل إدراكنا للأشياء يتوقف على الحواس أم العقل ؟**

يرى المذهب الحسي أن إدراك الإنسان للأشياء يتوقف على التجربة والإحساس، وليس على العقل والإدراك المجرد ، فقد ذهب الرواقيون قديما إلى أن مقياس المعرفة الحقة ليس تلك الأفكار التي كوناها بأنفسنا وصنعناها بأذهاننا،بل لابد من العودة إلى المصدر الذي استقينا منه أفكارنا الكلية أي التجربة الحسية، لأن نفس الطفل كما يرى الرواقيون لا تشتمل على أي نوع من المعارف المسبقة أو الفطرية فهو يبدأ في تحصيلها بعديا شيئا فشيئا بواسطة خبرته الحسية. كما ذهب الفيلسوف **لوك** إلى أن الإنسان لا يصل إلى المجرد إلا بالانطلاق من الملموس، حيث قال:" الحواس والمدارك هما النافذتان اللتان ينفذ منهما الضوء إلى الغرفة المظلمة (أي العقل)".كما قال أيضا:" ليس في العقل شيء جديد إلا وقد سبق وجوده في الحس أولا " لأن من فقد حاسة فقد المعاني المتعلقة بها"([19]). ويتفق **هيوم** مع **لوك** في رد الإدراك إلى الإحساس، إذ حصر مفهومه في نطاق الانطباعات الحسية الناتجة عن تأثر الأعضاء الحسية بخصائص الأشياء.

هذا المذهب لم يبحث في جوهر الإدراك،لأن الاعتماد على الحواس لا يمكننا من معرفة كل عناصر الموضوع بدقة، كما أن هذه الحواس قد تخدعنا أحيانا، وهذا ما أكده "**ديكارت**" بقوله : "كل ما تلقيته حتى الآن على أنه أصدق الأشياء وأوثقها قد تعلمته من الحواس،أو عن طريق الحواس، غير أنني اختبرت أحيانا هذه الحواس فوجدتها خداعة "([20]). كما أننا إذا أخذنا بهذا الموقف فكيف نفسر بعض المفاهيم كمفهوم الكتاب الذي يتصوره العقل خالصا من صفاته الثانوية المتغيرة، في الواقع كل كتاب له: شكل، لون، حجم، أما من حيث تصور الكتاب في العقل هو مرجع للمعرفة، فهذه الصورة يدركها العقل دون أن تمر بالحواس.

يرى المذهب العقلي أن الإحساس لا يمدنا إلا بمعارف أولية، في حاجة دائمة إلى صقل وتجريد عقلي ، ففلاسفة اليونان الكبار أمثال "سقراط" و"أفلاطون" يرون أن الإحساس وحده لا يحقق معرفة مجردة،بل الإحساس يثير العقل

لتحقيق معرفة مجردة فكثيرا ما تكون المعرفة الحسية خاطئة أو غير كافية في ذاتها،لأن الاقتصار على شهادة الحواس يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، وقيمة الإحساس تكمن في أنه يقوم بتنبيه وإثارة نشاطاتنا العقلية لنصل بطريقة غير مباشرة إلى المعرفة المجردة وهي المعرفة الحقيقية. كما ذهب الفيلسوف الفرنسي "**ديكارت**" إلى عدم إنكار الإدراك الحسي تماما، ولكنه قد قلل من إسهاماته في المعرفة مقارنة بالإدراك المجرد القائم على العقل.وقد قال:" العقل هو أعدل الأشياء توزعا بين الناس، لأن كل فرد يعتقد أنه أوتي منه الكفاية، حتى الذين يصعب إرضاؤهم بأي شيء آخر ليس من عادتهم أن يرغبوا في أكثر مما أصابوا منه"، كما قال أيضا : " أنا أفكر إذن أنا موجود"([21]).

لكن إذا كان الإحساس هو الجسر الذي يعبره العقل أثناء الإدراك، فإن ذلك يعني بالضرورة أن للإحساس وظيفة يؤديها في عملية الإدراك، وبدونه يصبح الإدراك فعلا ذهنيا مستحيلا، أي كل إدراك يحمل في ثناياه بذورا حسية متنوعة. كما أن الواقع يؤكد عكس ما يقول به المذهب العقلي لأن الطفل الصغير يبدأ في اكتشاف هذا العالم من خلا الأصوات والألوان والأشكال، زد على ذلك إذا كان العقل هو مصدر الإدراك وهو مبدأ فطري في الإنسان، فلماذا لا نملك جميعا نحن البشر نفس المعارف.

إن الفيلسوف **آير** قد عالج الإدراك ضمن نظرية المعرفة، فقد كان مهتما بها،وتناول في إطار نظريته عدة إشكالات منها الإدراك والمعنى والبحث عن الحقيقة وما إلى غير ذلك ، ويعتمد الفيلسوف **آير** في حل مشكلاته على التسويغ أي إثبات أن ما لدينا من مسوغات لحل المشكلات بأيدينا من خلال البحث والتنقيب والتجربة وقد حاول **آير** البحث عن تسويغ لاعتقاداتنا بوجود الأشياء المادية وإدراك الأشياء عنده مصدرا مهما لمعرفة العالم الخارجي،ويبحث في فلسفته عن الأساس الذي تجعلنا نملك الادعاء بالمعرفة وإدراكها حق الإدراك .وإن كثيرا من الجمل قد نضعها لتصف خبراتنا الإدراكية في الحياة وهذه الخبرة تؤكد وجود علاقة إدراكية بين الشئ المدرك من جهة وموضوع الإدراك نفسه من جهة أخرى. فالإدراك يجعلنا نملك القدرة على معرفة الأشياء وفهمها بالحصول على معرفة تثبت في ذهننا كالمثال التي أشرت له سابقا الخاص بموضوع اللوحة المعلقة على الحائط ، فالمعرفة الباب الذي أستطيع الوصول له من خلال الإدراك بمساعدة وسيلة أو عدة وسائل أخرى حسية وغير حسية تكون مسبقة أو غير مسبقة في الذهن والعقل و الحواس تكون محتفظة بها حتى لو فقد الشخص أحد حواسه يوما ما فإدراكنا بها موجود ومعرفتنا بها ثابتة من خلال إدراكنا السابقة .

أدركت ⟵ فعرفت

ولكن أحيانا يكون الإدراك فيه نسبة شك أو غير صادق لأسباب ، وهذا يدخل في إطار الاعتقادات بدلا من المعرفة الثابتة ، ويتحتم علينا أن نقول في هذه الحالات : بدا لي رؤية كذا أو أعتقد أنني رأيت كذا ، فالعالم ملئ بأشياء نتحدث عنها وهي بعيدة غير محسوسة لدينا مثل ما نسمعه عن قوس قزح أو الأشباح ، وكل ما يرد على شاشة التلفاز أو شبكة الانترنت وغيرهم مما يدخل تحت إطار الرؤية الغير حقيقية (مرئية أو مسموعة).وقد نطرح تساؤلا : هل توجد فروق في العملية الإدراكية للأشياء وما درجة إدراكنا للأشياء وهل ثابتة وهل تخضع للحقيقة دائما وهل يصيبها ضعف بسبب نسبتها أو عدم التأكد ؟

في الحقيقة إن الشك يصيب عملية الإدراك وقد ينطلق من نقطة معينة ، نقطة الاعتقاد بأنه يوجد لدينا سبب قوي للشك في أنواع بعينها من الأمور المتعلقة بالإدراك ، وأنه يوجد فرق فقط من حيث الدرجة وليس في النوع بينها وبين أنواع أخرى ، وإذا كنا سنقبل بهذا فهناك أمل وحيد لإبعاد الشك وسيكون ذلك الأمل في العثور على موضوعات إدراكية مختلفة في النوع وقد يقودنا ذلك إلى ما يسمى بـ (حجة الوهم) وهذه الحجة تبدأ بالإشارة إلى وجود أوهام

من أنواع مختلفة، ومن ذلك على سبيل المثال: العصا إذا تم وضع جزء منها في الماء قد تبدو لنا منكسرة وأيضا حالات الرؤية المزدوجة والهلوسة([22]).

و الوهم يعرف على أنه شكل من أشكال التشوّه الحسيّ، ويدلّ على سوء تفسير الإحساس الحقيقي، ويعرف أيضاً على أنّه إيمان الشخص بمعتقد خاطئ بشكل قوي، رغم أنّه لا توجد أدلة على وجوده أصلاً، كما عرفه البعض على أنّه شكّ، أو وسواس يصاب به الفرد ليرى بعض التصوّرات غير الموجودة على أنها حقيقة واقعة.

و فلسفة الإدراك تتعلق بطبيعة التجربة الإدراكية وحالة البيانات الإدراكية، سيما كيفية ارتباطها بمعتقدات العالم أو بالمعرفة الخاصة به ، أي حساب صريح من الإدراك يتطلب الالتزام لواحد من مجموعة متنوعة من الآراء الأنطولوجية أو الميتافيزيقية ، يميز الفلاسفة الحسابات الداخلية، التي تفترض أن تصورات الأشياء، والمعرفة أو المعتقدات المتعلقة بها، هي جوانب من ذهن الفرد، والحسابات الخارجية، التي تنص على أنها تشكل جوانب حقيقية للعالم الخارجي للفرد.

إن موقف الواقعية الساذجة—الانطباع "اليومي" للأشياء المادية التي تشكل ما ينظر إليه—يتعارض إلى حد ما مع حدوث الأوهام الإدراكية والهلوسة ، ونسبية التجربة الإدراكية فضلا عن رؤى معينة في العلم والمفاهيم الواقعية تشمل الظاهراتية والواقعية المباشرة وغير المباشرة ، والمفاهيم المناهضة للواقعية تشمل المثالية والشكوكية([23]).

وأحيانا في حالة الاضطراب قد لا نرى الأشياء على حقيقتها فلا ندركها إدراكا تاما ، وقد لا ندرك أننا لا ندرك حقيقتها ، فيخيل لنا أننا مدركين الإدراك الحقيقي (السوي) و يتضح من الآخرين أو المحيطين بنا من البشر،الوهم الذي يعيش فيه الشخص وقت إدراكه لأشياء ليست بواقعية إلا من خلال واقعه هو أو إدراكه هو ، كحال الشخص الذي يشرب الخمر فيرى أشياء ويدركها من وجهة نظره هو ولا يدركها غيره، وهذا الإدراك لا يمكن أن يكون سمة لشئ مادي، وبذلك في هذا الحال لا يوجد فرق نوعي بين حالات الوهم و حالات الإدراك السوي .

والواقعية غير المباشرة (وجهات النظر التمثيلية) تقدم سردا لقضايا مثل المحتويات الإدراكية،والأحلام، والخيال، والهلوسة، والأوهام، وحل التنافس بين العينين، وحل التصور المتعدد، ونمذجة الحركة التي تسمح لنا بمشاهدة التلفاز، والأحاسيس التي تنتج عن تحفيز الدماغ المباشر، وتحديث الصورة الذهنية عن طريق رموش العيون وإحالة الأحداث إلى الوراء في الوقت المناسب، يجب على الواقعيين المباشرين إما أن يجادلوا بأن هذه التجارب لا تحدث أو يرفضوا تعريفها كمفاهيم.

و المثالية تقول أن الواقع يقتصر على الصفات العقلية في حين تشكك في قدرتنا على معرفة أي شيء خارج عقولنا و **ديفيد هيوم** هو على الأرجح المؤيد الأكثر تأثيرا للشكوكية.

تشير خلافة نقل البيانات المتضمنة في التصور إلى أن البيانات الحساسة متاحة بطريقة ما لموضوع الإدراك الذي هو الركيزة من الإدراك الواقعية غير المباشرة، وجهة النظر التي عقدها **لوك** و **نيقولا مالبرانش**(Nicolas Malebranche)، تقترح أننا يمكننا فقط أن نكون على وعي بالتمثل العقلي للأشياء،وعلى الرغم من أن هذا قد يعني انحدار لانهائي إلا أن الانحدار المحدود هو ممكن تماما،ويفترض أيضا أن الإدراك يرجع تماما إلى نقل البيانات ومعالجة المعلومات، وهو حجة يمكن تجنبها من خلال اقتراح أن الإدراك لا يعتمد كليا على نقل وإعادة ترتيب البيانات. هذا لا يزال ينطوي على القضايا الأنطولوجية الأساسية من النوع الذي أثاره **لايبنتز** Gottfried Wilhelm) **(**Leibniz،و **لوك**،و **هيوم**،و **وايتهيد**(Alfred North Whitehead**)** وغيرهم، والتي لا تزال معلقة وخاصة فيما يتعلق بمشكلة الإلزامية، ومسألة كيف أن مختلف التصورات (مثل اللون والمحيط في الرؤية) هي " ملزمة " لنفس الشئ عندما تتم معالجتها من قبل مناطق منفصلة من الدماغ([24]) .

وهناك مقدمات تستند عليها حجة الوهم وتتمثل فيما يلي :

- وجود اختلاف بين الكيفية التي تظهر عليها الأشياء لنا والكيفية التي تكون عليها هذه الأشياء في واقعنا،وهذا الاختلاف قد يؤدي إلى ارتكاب الخطأ في التعرف على الأشياء ، لأننا نلاحظ أن هذه الأشياء قد تختلف رؤيتها وإدراكها بالنسبة للشخص في ظروف مختلفة من وقت للأخر ، فقد تبدو بمظاهر مختلفة لنفس الملاحظ لهذه الأشياء ضمن ظروف مختلفة عنده ، وهذا إن ل على شئ فإنما يدل على أننا لا ندرك في جميع الأحيان الأشياء كما هي في حقيقتها، ومن ذلك على سبيل المثال قد نجد الطبق الدائري الشكل قد يبدوا دائري الشكل عند النظر إليه من زاوية معينة،وقد يبدو في الوقت نفسه بيضاوي الشكل عند النظر إليه من زاوية أخرى ولكن لا يمكن اعتبار الطبق دائري الشكل وبيضاوي الشكل في وقت واحد ، وبالتالي إذا ادعى أحد الملاحظين لنفس الطبق أن الطبق بدا له دائريا بينما ادعى الآخر أن الطبق يراه بيضاويا وأصر كل منهما على رؤيته وأن رؤيته هي الإدراك الصحيح ، فلا بد أن يكون أحدهما خاضعا للوهم ، ومن هنا نستطيع أن نستنتج أنه في الحالات التي لا يبدو فيها الشئ المادي بشكله الحقيقي فإن ما ندركه بصورة مباشرة إنما يكون شيئا آخر غيره.
- إمكانية حدوث الهلوسة بشكل تام واضح ومن ذلك على سبيل السكير الذي يرى الفئران بلون لا يراه غيره حيث يراها أنها وردية ، وبالنظر إلى الواقع بأشيائه المادية نجد أن هذا النوع من الفئران غير موجود في الأشياء المادية المحسوسة ولا يوجد أي إدراك لها ومن هنا فهو يخضع للهلوسة التامة .
- الكيفية التي تظهر عليها الأشياء المادية تتغير تبعا لعوامل لا تتصل بها مثل تغير المنظور وحالة الإضاءة
- وما سبق من مقدمات أدت بـ **آير** وغيره من الفلاسفة إلى نتيجة قائلة (لا يمكننا إدراك الأشياء المادية على حقيقتها ، وما ندركه نحن في حياتنا وخبراتنا الإدراكية بصورة مباشرة هو شئ آخر غيرها ، وهذا ما اصطلح عليه **آير** بـ (المعطي الحسي) ويناقش **آير** الأدلة وفق النتيجة السابقة ، وبإدراك الفلاسفة أنه ليس بإدراكنا كل الأشياء المادية ومن هنا قدموا أدلة لإثبات ذلك تتمثل فيما يلي :
- لا يمكن التمييز بين حالات الإدراك السوية والغير سوية بناء على طبيعة الإدراك وحدها ، فلا أي فرق بين الحالات السوية والغير السوية لإدراكنا للأشياء التي حولنا ومن ذلك على سبيل المثال العصا التي تبدوا عند غمر جزء منها في الماء تبدو مكسورة وهذا لا يختلف كيفا عما هو معطي لنا لحواسنا في حالات الإدراك السوي ومن وجهة نظر **آير** من خلال التجربة والاعتقادات التي تتولد لدينا بسبب التجارب التي مرت بنا في الماضي والاختلاف في الاعتقادات التي تصاحب إدراكاتنا ليست قائمة على طبيعة الادراكات ذاتها وإنما يعتمد على خبراتنا الماضية ، ولا نستطيع في الحقيقة التمييز بين التجارب السوية والغير السوية في جميع الحالات .
- دليل آخر يؤكد لنا حتى في حالات الإدراك السوي عدم إدراكنا للأشياء المادية بصورة مباشرة هو كون حالات الإدراك السوي وغير السوي قد تكون معا سلسلة متصلة بالنسبة لصفاتها والظروف التي تحصل ضمنها، حيث ما نختبره من تجارب بصورة مباشرة إنما هو معطي حسي وليس شيئا ماديا ، فكل تجربة لابد أن تخضع لأمور تتعلق بالذات المدركة وبطبيعة الشخصية المدركة لها من الناحية الفسيولوجية ، وتختلف الحالات الإدراكية من تجربة لتجربة وحسب الإدراك و النسبة المدركة له.
- إن حالات الإدراك الحسي السوية والغير سوية تعتمد على شروط موضوعية كطبيعة الضوء وعلى شروط ذاتية متعلقة بالذات المدركة، ويخرج **آير** مما سبق كله بأنه لا يوجد فرق جوهري فيما يتعلق بالشروط التي يحصل الإدراك ضمنها بين حالات الإدراك السوية والغير سوية لأنه ينبغي أن تتوافر شروط أخرى مع طبيعة

الإدراك ذاتها، والأشياء المادية مميزة بوجودها وصفاتها بغض النظر عن أي ذات مدركة وعمن يدركه وعن المنظور الذي يدرك من خلاله ، فما ندركه بصورة مباشرة لا يمكن أن يكون الشئ المادي ذاته([25]).

ولذلك يجب أن نقدم تفسيرات مختلفة لامتلاك الشئ صفات متعارضة، ومن خلال المعطيات الحسية، وقد استعمل **آير** مصطلح المعطي الحسي وحاول من خلاله أن يفسر ويحلل مفهوم الشئ المادي إلى عناصر التجربة المباشرة بالملاحظة، فهو يرى أن الكلام على الأشياء المادية يجب أن ينظر إليه على أنه كلام على المعطيات الحسية، ويرى أنه ليس من الضروري اعتبار أي حالة من الحالات الإدراكية غير سوية ، وهذا لا يعني أنه ينكر أي تجربة من الوقائع التجريبية ولكنه يلفت انتباهنا أنها ليست الطريقة الوحيدة التي تصف الحالات الإدراكية؛ولذلك فإن الافتراضات التي يضعها **آير** نلاحظ أنها ذات طابع لغوي وليست ذات طابع واقعي،والإقرار بأن موضوعات الإدراك هي أشياء مادية يؤدي إلى نتائج لا يمكن قبولها ومن الخطأ أن نتكلم على موضوعات الإدراك وكأنها دائما أشياء مادية كما هو واضح في المثال الخاص بالعصا المنكسرة عند غمر جزء منها في الماء فالعصا شئ مادي دائما وبدا كسرها عند وضعها في الماء وهذا ليس صحيحا، ومن وجهة نظر **آير** علينا أن ندرك ونحدد المعنى بالضبط حول ما نقصده من خلال الفعل ويجب تجنب الإبهام اللغوي الذي قد يحدث خلال استعمالنا لأفعال الإدراك في وصف حالاتنا فـ **آير** يؤول مسلمات حجة الوهم تأويلا لغويا وبالتالي نصل إلى النتيجة القائلة بأن جميع موضوعات الإدراك المباشر .

لا يمكن أن تكون أشياء مادية وإنما هي المعطيات الحسية،لأن المعطيات الحسية هي الأساس الأخير للمعرفة الذي تبنى عليه كل معرفتنا، فلغة المعطي الحسي من وجهة **آير** تمكننا من وصف خبراتنا الحسية بصورة أفضل من اللغة الشيئية والتحقق من صحة وصدق أي جملة من وجهة نظر **آير** يمكن؛لأنه يوجد عدد لا متناه من المعطيات الحسية التي نحس بها فالجمل تتولد باستمرار لا نهاية لها ، والأشياء المادية في نظر **آير** تتصف بكونها عامة حيث أنها قابلة للملاحظة من قبل أشخاص مختلفين ينظرون إلى الشئ المادي ذاته بينما تتصف المعطيات الحسية بكونها خاصة أي أن معطي حسي يتم الإحساس به أي ذات مدركة خاصة به وغير قابل للإحساس بأي ذات مدركة أخرى، والأسئلة المتعلقة بالواقع يجب اعتبارها أسئلة تجريبية ولا تتحقق إلا من خلال نظرية معينة و **آير** يقر الواقعية بوجود الأشياء المادية وكذلك بوجود الكينونات العلمية فهو يتبنى الواقعية ، وقد نلاحظ من فكره وآراءه أنه يطبق فكرة النظام الأولي (اللغة الشيئية) والنظام الثانوي (اللغة الشارحة) على نظريته في الإدراك أي في نطاق نظرية واحدة ، ويحاول قدر المستطاع التوفيق بين النظرة العلمية ونظرية الحس المشترك لطبيعة الأشياء المادية أي بين نظريتين مختلفتين وقد نخرج بثالثة جديدة مفيدة حيث تحدد طابع الواقع وعن الأشياء المادية بمضمون واقعي.

([1]) زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ط1،مكتبة مصر،القاهرة،1968،ص.308.

([2]) Magee Bryan : Modern British Philosophy. Martin Secker & Warburg Press Ltd. New York. 1971.Pp.48-60.

([3]) عزمي إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ط1،وكالة المطبوعات،الكويت.1980.ص.117.

(4) عبد الرحمن بدوي،موسوعة الفلسفة،الجزء الثاني،الطبعة الأولى،المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت.1984.ص.252.

([5]) ديفيد هيوم:مبحث في الفاهمة البشرية،ترجمة موسى وهبة،دار الفارابي،بيروت،لبنان،الطبعة الأولى،2008،ص ص.40-41.

([6]) المصدر نفسه.ص ص.50-51.

([7]) المصدر نفسه.ص ص. 120-124.

([8])Claude Bernard, Introduction à l'étude de la médecine expérimentale (1865).Éditions Garnier-Flammarion.Paris.1966.pp.35-36.

([9]) Warnock.G.J ,The Philosophy of Perception. Oxford University Press.London.1967.p.66.

([10])Ayer.A.J, The Central Questions of Philosophy. Penguin Books Ltd Harmondsworth,Middlesex.1973.p.74.

([11]) Ayer.A.J, " Phenomenalism "In:Ammerman,R.R.& Singer,Marcus.G., Belief ,Knowledge and Truth, Charles Scribner's Sons. New York.1970.p.233.

([12]) Ibid.,p.257.

([13]) Ayer.A.J, The Foundations of Empirical Knowledge, Macmillan &Co Ltd.London.1961.p.57.

([14]) Ibid.,p.233.

([15]) Ayer.A.J, " Phenomenalism "In:Ammerman,R.R.& Singer,Marcus.G.,Belief ,Knowledge and Truth, Charles Scribner's Sons. New York.1970.p.230.

([16]) Ibid.,pp.113-114.

([17]) Ayer.A.J,The Centeral Questions of Philosophy,p.57.

([18]) Hume David, A Treatise of Human Nature A Critical edition edited by DAVID FATE NORTON MARY J. NORTON. Oxford University Press. 2007.Section 2,p.11.

([19]) John Locke, An Essay concerning Human Understanding. Abridged and edited by John W.Yolton.Orion Publishing Group.London.2001.Book IV.Chap 1.pp.291-292.

([20])René Descartes, Les méditations métaphysiques. Édition numérique réalisée le 21 août 2016 à Chicoutimi, Ville de Saguenay,Québec.p.22.

([21]) رينه ديكارت، مقالة الطريقة،ترجمة جميل صليبا ،تقديم عمر مهيبل، موفم للنشر. الجزائر. 1991.ص 3.ص.44.

([22]) Ayer.A.J,The Centeral Questions of Philosophy,p.106.

([23]) Ayer,A.J.,The Problem of Knowledge.Penguin Books Ltd.Baltimore.USA.1962.P.113.

([24]) Honderich,T.& Burnyeat,M,Philosophy AsIt Is. Penguin Books Ltd.Harmondsworth.Middlesex.1979.pp-311-312.

([25])Ayer.A.J, The Foundations of Empirical Knowledge.p.39.